نظام المعارف

في الغرب والشرق

في ارجاء الشرق نهضة فكرية شاملة وتنبّه روحي يعيد المدى واسع النتائج. فالشرق الذي درج في أطهار الخمول والاستسلام منذ بضعة قرون هبّ يطالب بنصيبه من الحياة في القرن العشرين . أكتفى اولاً من الحياة بالوجود والوجود اقل العلامات دلالةً على الحياة . الحياة حركة وجهاد وحرية وتعاون وارتقاء فهو يطلب اليوم ان يسير مع سائر الامم في موكب الحياة العظيم

نعم ان الشرق يطلب اليوم الحياة السامية وما ينطوي تحتها من مسؤولية كبرى وواجبات عظيمة ولكن ذلك لا ينسي له قبل ان يقضي على الجهل والقباوة، قبل ان يخترق نور العلم الحجب المسدولة على العقول والافهام فينيرها ويفهمها غايات الحياة وواجباتها العديدة . ولذلك لا يجوز لنا ان نحسب النهضة الشرقية الحديثة نهضةً باقية الا اذا لم يتناول زعماؤها هذا المشكل الاجتماعي المهم: مشكل نشر المعارف والتعليم والقضاء على الامية والجهل وتكوين طابع تهذيبي شرقي يجمع ارقى ما وصلت اليه الامم الراقية فيكوّن النفوس الشرقية التي يجدر بها ان تكون خير خلف لاسلاف كبار واجداد عظام .وسننشر في الفصول التالية خلاصة لنظام المدارف في اربعة من ارقى دول الارض واعلاها كعباً في التمدن والعلم وهي المانيا وفرنسا والولايات المتحدة الاميركية وانكلترا معتمدين في ذلك على احدث ما كتب في هذا الموضوع

في المانيا

لكل من الولايات الالمانية التي تتألف منها الجمهورية الالمانية الآن (الامبراطورية الالمانية سابقاً) نظام خاص بها ولكن بين هذه الولايات اتصال كلي حتى يكاد يكون نظام التعليم في المانيا واحداً . وسنصف فيما يلي النظام المتبع في بروسيا لانها اكبر هذه الولايات وارقاها ولان سائر الولايات تتبعها

للمعارف في بروسيا وزير تتناول سلطته كل الولاية وهو عضو في المجلس البروسي الاعلى يهتم بمصالح المدارس ويوزّع عليها الاعتمادات المالية ويعمل على كل ما هو ضروري لا نجاحها

وتقسم بروسيا الى ثلاث عشرة ولاية في كلٍّ منها مجلس معارف يرأسهُ حاكم الولاية . اما اعضاء هذا المجلس فهم عادةً من كبار المفكرين الذين عجموا عود المشاكل التهذيبية ومن ذوي الاخلاق الحميدة والسيرة الخالية من اللوم. فهم يديرون مالية المدارس التي في ولايتهم وضمن دائرتهم ويعينون الكتب الدراسية التي تتبع فيها وتمتد سلطتهم في تلك الولاية من اصغر المدارس الى أكبرها

وتقسم هذه الولايات الى اقسام صغيرة في كلٍّ منها مجلس عليهِ ما على المجلس المذكور آنفاً من الواجبات . وتقسم هذه الاقسام الى اقسام صغرى في كل منها مجلس معارف صغير اهم اعضائهِ ناظر المدارس فهو اكثرهم نفوذاً وهيبة . ويشترط على الذين يشغلون منصب ناظر ان يكونوا قد تلقوا الدروس العالية في فن التعليم وان يكونوا قضوا شطراً من عمرهم في التمرن والاختبار . والناظر يشغل مركزهُ مدى الحياة ما زال كفوءاً لذلك ويقصر همهُ على المدارس التي ضمن دائرتهِ لان امر نجاحها يتوقف على كفاءتهِ ودقتهِ وحسن تدبيرهِ . ومجلس المعارف في هذه الاقسام الصغيرة لهُ الحق ان يقرّر انشاء المباني الجديدة ويعين رواتب المعلمين ومعاشات المدرسين المتقاعدين ويسن القوانين المحلية التي بواسطتها تنفذ القوانين العامة كالحضور الاجباري مثلاً . ثم لكل مدرسة عمدة تهتم بالتفاصيل البسيطة كمعاقبة التلاميذ الغائبين وغيرهم والقيام باعمال الاصلاح في المباني . ويعنى مجلس المعارف الاعلى بانتخاب المعلمين من الذين تعلموا التعليم الكافي واظهروا مقدرة وكفاءة وحسن اخلاق غير ناظرين في ذلك الى مذاهبهم السياسية لان الشرط الاول في انتخاب المعلم هو كفاءتهُ العلمية واخلاقهُ الادبية

التعليم الابتدائي في المانيا اجباريّ فعلى كل ولد حسن الصحة ان يحضر المدرسة بين السنة السادسة من عمرهِ والرابعة عشرة . ولا يسمح لهُ ان يتخلف عن الحضور الاّ في حالة المرض . والوالدون مسؤولون عن حضور اولادهم ويجازون اما بالغرامة او بالسجن اذا لم يجبروهم على الذهاب الى المدرسة . واذا لم يتمكنوا من ذلك يؤخذ الاولاد الى مدارس الاصلاح حيث يؤدبون. وهكذا ترى ان هذا القانون يسري على الجميع بكل دقة وضبط وعدم محاباة . فكانت النتيجة ان الامية كادت تزول من المانيا والاحصاءات التالية تبين التقدم السريع في القضاء على الامية فيها .ففي سنة ١٨٧٠ — ١٨٧١ كان نحو ٢٤ في الالف من المجندين

اميين واما في سنة ١٩٠٠ — ١٩٠١ فلم يبقَ من الاميين الاّ نحو واحد في الالفين (١)

والوالدون يفرسون في نفوس اولادهم ان الذهاب الى المدرسة يومياً اهم ما يجب عليهم فينشأون وقد اعتادوا ذلك فلا يتفرون من المدرسة بل يرغبون فيها ويقبلون على الذهاب اليها . وقد سهل العمل بهذا القانون لانهُ يشمل كل يوم من الايام الدراسية . ولو اجيز للولد ان يتخلف في بعض الايام عن المدرسة اما ليلهو او ليعمل في بعض الاعمال لالف اللهو او العمل ورغب عن الدرس

المدارس في انحاء وانواعها — المدارس العامة او المدارس الابتدائية موجودة في كل قرية مهما كانت صغيرة والحضور اليها اجباري والتعليم فيها مجاني. ففي القرى يتعلم الصبيان والبنات معاً اما في المدن فكل فريق منهم في مدرسة على حدة (٢)

وساعات الدرس من ٨ — ١١ صباحاً كل يوم عدا الاحد ومن ٢ — ٤ بعد الظهر كل يوم عدا الاحد والاربعاء والسبت وتشتمل الفصول الدراسية نحو ٤٣ اسبوعاً من السنة وعلى كل معلم ان يدرّس نحو ٢٨ ساعة في الاسبوع

غاية هذه المدارس تعليم العامة والعامة في الغالب غير قادرة على متابعة الدروس العالية لذلك لا يوجد مدارس مجانية اعلى من المدارس الابتدائية للذين يريدون متابعة التعليم العالي وهذا اعظم موطن ضعف في النظام الالماني لانهُ يضيف الى الحواجز التي تفصل بين الطبقات الاجتماعية حاجز التربية والتعليم. اما افراد العامة النابغون فيقدرون ان يتابعوا التعليم العالي اذا اظهروا مقدرة فائقة وذكاء نادراً بدخولهم المعاهد التي تختص باعداد المعلمين. والذين يريدون ان ينصرفوا الى العمل وطرق ابواب الارتزاق يقدرون ان يحضروا المدارس الليلية حيث يراجعون الدروس التي تلقوها في المدرسة الابتدائية ويضيفون اليها بعض المعارف التجارية

وتقسم المدارس الثانوية الى ثلاثة اقسام في كل منها يستعد الطالب لدخول الجامعة والاختلاف بينها قائم على مقدار ما يتعلمهُ فيها الطالب من الآداب القديمة كمؤلفات الفلاسفة والكتاب من اليونان والرومان او ما يتعلمهُ فيها من العلوم الطبيعية الحديثة . ولا علاقة بين المدارس العامة والمدارس الثانوية من حيث توحيد برنامج الدروس . ولذلك يجب على الطالب الذي يريد اهلهُ ان يعدّوهُ لعمل معين ان يخرج من المدرسة العامة وهو في التاسعة من عمره . فيدخل احدى المدارس

(١) الانكلوبيديا البريطانية الاخيرة (٢) Seeley. History of Education

الثانوية فيقضي فيها تسع سنوات وبعدها ينتقل الى الجامعة. وعندهم مدارس فنية غير الجامعات يتلقى فيها الطالب الهندسة على انواعها او الطب البيطري او اصول التجارة او اصول علم غرس الحراج وعلم استخراج المعادن وغيرها . وفي الجدول التالي بيان لنوع المدرسة وعدد المدارس وعدد الطلبة من ذكور واناث وعدد المدرسين

المدارس العامة (الابتدائية) كما كانت سنة ١٩١١

	عدد المدارس	المعلمون	المعلمات	التلاميذ	التلميذات
بروسيا	٣٨ ٦٨٤	٩١ ٦٤٣	٢٤ ٦٥٠	٣ ٢٩٢ ٨٧٧	٣ ٢٧٩ ٢٦٣
المانيا كلها	٦١ ٥٥٧	١٤٨ ٢١٧	٣٩ ٢٦٨	٥ ١٥٧ ٤٤٦	٥ ١٥٢ ٥٠٣

وكان في المانيا ٤٨٠ مدرسة خصوصية سنة ١٩١١ فيها نحو ٣٦ ٠٠٠ طالب وطالبة ولكن برنامج التعليم فيها يتفق تماماً مع برنامج الحكومة

المدارس الثانوية

	عدد المدارس	المعلمون	الطلبة
للصبيان	١ ٤٠٦	٢١ ٧٨٧	٤٠٥ ٩٢١
للبنات	٨٢٨	١٢ ٣٩٨	٢٣٤ ٤٦١

اما المدارس الفنية فيبلغ عددها نحو ٩٢٠ مفرقة على كل الصناعات اكثرها زراعية وصناعية والقليل منها لسائر الفنون . منها عشر مدارس فنية عالية تمنح القاباً وكان عدد طلبتها ١٦٤١٨ سنة ١٩١٣ الذكور منهم ١١٠٠٣ والاناث ٢٣١٢

ويبلغ عدد الجامعات في المانيا ٢٣ جامعة في كل منها كليات للفلسفة والطب والحقوق واللاهوت والعلوم الرياضية والطبيعية وفي ثمانية منها مدارس زراعية وعدا هذه الكليات يوجد ٨ مدارس لاهوت للكاثوليك . ويبلغ عدد الطلبة في هذه الجامعات نحو ٨٠٠٠٠ طالب حسب احصاء ١٩٢١(١)

نفقات المدارس — تقوم الحكومة بنصف نفقات المدارس ويجبى من الاهلين ضرائب تعادل ثلث النفقات والباقي يسدّد من الهبات المدرسية التي يقوم بها الاغنياء ومن اوقاف الكنائس وما يدفعهُ التلامذة في بعض المدارس اجرةً لتعليمهم(٢) . وقد قدّم وزير المعارف تقريراً يطلب فيهِ ان يجعل كل التعليم مجانياً

(١) كل هذه الارقام مأخوذة من The Statesman's Year Book 1931.

(٢) Seeley. History of Education

ولكن رغماً عن ذلك لا تزال بعض المدارس تتقاضى اجوراً باهظة للتعليم. ولكن هناك مدارس مجانية للفقراء

المدرسون — كل المدرسين في المدارس العامة يجب ان يكونوا متخرجين في المدارس التي تقام خصوصاً لاعداد المعلمين. وبندر وجود خريجين من الجامعات في المدارس الابتدائية لانهم يفضلون التعليم في المدارس الثانوية حيث مجال البحث اوسع وميدان التقدم والعمل ارحب

يهتم الناظر في المدارس الابتدائية بانتخاب التلامذة الذين يظهرون مقدرة فائقة وتفوقاً فكرياً على اقرانهم ويرسلهم الى المدرسة العالية حيث يتوسعون في العلوم والمعارف وبعد ذلك يرسلون الى مدرسة دار المعلمين حيث يستغرق الدرس ثلاث سنوات يقصر فيها درسهم على المواضيع الفنية في التربية والتعليم

وبعد اتمام الدرس في هذه المدرسة يعين التلميذ مدرساً لثلاث سنوات حيث يراقبهُ الرئيس وناظر المدارس فاذا اظهر كفاءة ومقدرة في التدريس وادارة الطلبة يطلب منهُ ان يقدّم امتحاناً نهائياً في بعض مواضيع من التعليم ثم يعين لهُ مركز دائم لا يقال منهُ الاّ اذا اظهر عدم كفاءة او انحطاطاً في آدابهِ واخلاقهِ

اما راتب امثال هؤلاء المعلمين فقليل بالنسبة الى الرواتب في سائر المهن ولكن عمدة المدرسة تقدّم للمعلم بيتاً بدون اجرة وكل ما يحتاج اليهِ من وقود ونور. ويزاد راتب المعلم سنة بعد سنة وحينما يعجز عن العمل يحال على المعاش

المعلم الالماني موظف حكومة(١) وينال من الجمهور ما يستحقهُ المركز الذي يشغلهُ والعمل العظيم الذي يقوم بهِ من الاكرام

الخلاصة — ان الامور التي يمتاز بها نظام التعليم الالماني هي

١ — التعليم الابتدائي اجباريّ مجانيّ

٢ — لا يقبل معلم في منصب تعليم الاّ اذا نال شهادة مدرسة المعلمين وبعد قبولهِ يصبح مركزهُ دائماً الاّ اذا اظهر عدم كفاءة او انحطاطاً في الآداب والاخلاق

٣ — كثرة المدارس الفنية التي تجهّز البلاد بجيوش العمال الذين يعرفون اصول عملهم العلمية وذلك هو السبب الاكبر في ارتقاء الصناعة والزراعة الالمانية. ولا شبهة في ان الارتقاء الاقتصادي اصل لكل قوة سياسية وتقدم عمراني

(١) Monroe. History of Education P. 387